Analyse ou commentaire de textes ou documents en arabe

Durée : 6 heures

Analysez et commentez en arabe les deux documents suivants :

DOCUMENT 1

الصورة ضد السوري

لا يشبه السوري صورته ولم يشبهها يوماً. ربما هذا هو حال جميع المستضعفين ممن لا يملكون أن يصنعوا صورتهم بأنفسهم. لكن السوري يخوض اليوم معركة من أجل البقاء. ولا بقاء لمن تهزمه الصورة.

اقترنت الصورة بالهزيمة منذ ظهور السوري الأول الذي لا يشبه أياً ممن يجسد عادة هذا الدور في كتب التاريخ. فهو ليس بالفلاح الذي نجح بتدجين القمح في حوض الفرات لأول مرة في تاريخ الإنسانية، وليس بالمثقف الذي ابتكر أول أبجدية على شواطئ أوغاريت اللازوردية، وليس بالجنرال الذي أسس أول مملكة سورية في ربوع أنطاكية الفيحاء، ذلك أن هؤلاء ليسوا بسوريين في نظر العالم وليس لهم صور سورية الصنع، اللهم إلا في مخيلة أنطون سعادة، مؤسس القومية السورية.

السوري الأول هو سليمان الحلبي الذي صُلب على الخازوق إثر اغتياله الجنرال كليبر في حزيران يونيو 1800 على خلفية ثورة شعبية ضد الاحتلال الفرنسي. فقد كان هذا "القاتل" أول من جسّد شخصية السوري أمام الرأي العام العالمي في حين كانت سورية قد انهزمت أو انقرضت منذ زمن طويل، شأنها شأن آشور وفينيقيا. ففي عام 1787 صدر كتاب للرحالة الفرنسي فولني يتكلم عن تلك البلاد التي كان الإغريق القدامى يسمونها سورية، مطلقاً لأول مرة هذا الاسم على "الولاية التركية" المعروفة آنذاك باسم بلاد الشام أو المشرق.

ثم تلقف الجنرال بونابرت الاسم الإغريقي الذي نبشه الرحالة الشهير، وتوجه إلى المشرق عام 1798 برفقة كليبر على رأس حملة عسكرية لبعث الحضارة في البلاد الواقعة تحت "نير الاستبداد".

ولأن لا عاقل يفضل الاستبداد على البعث والحضارة، فقد استنتج العالم أن السوري الذي ثار على الجنرال مصاب بداء "التعصب" الناجم عن التعرض المستدام لدين الإسلام. وعليه عُرضت جمجمة سليمان الحلبي وهيكله العظمي في متاحف باريس بصفتها نموذجاً للمتعصب، ذلك حتى نهاية القرن العشرين حيث أخفتها الجهات المختصة خوفاً من ردود أفعال "المتعصبين". وصادقت على صورة السوري هذه أجيال متتالية من العلماء والمستشرقين والمثقفين والفنانين، بالإضافة إلى الأخوين لوميير، مخترعي فن السينما، اللذين أخرجا فيلماً يصور اغتيال الجنرال الأنيق على يد سوري ذي لحية كثيفة وعينين جاحظتين.

هكذا ارتسمت في مخيلة العالم صورة مفادها أن السوري كائن قاصر تحول نزواته الدينية دون بعث حضارته المفترضة. وترسخت هذه الصورة مع اقتران اسم سورية بالمجازر التي ارتكبت بحق المسيحيين في جبل لبنان ودمشق عام 1860، حيث أرسلت أوروبا قوات حفظ سلام تحت اسم "حملة سورية"، وباشرت الدولة العثمانية إصلاحاتها الموعودة بإنشاء "ولاية سورية"، وبدأ المثقفون المحليون ينادون ببعث سورية ضد التعصب الديني.

Tournez la page S.V.P.

ولما كان العالم قد رأى في الصورة أن ليس بمقدور السوري أن يكون من دون وصي يساعده على التحرر من حاضره البغيض وبعث ماضيه المجيد، قررت عصبة الأمم وضع المشرق تحت انتداب الأمم المتحضرة غداة سقوط السلطنة العثمانية، وأوكلت إلى فرنسا مهمة إنشاء الدولة السورية. فجاء الجنرال غورو وجيشه مبشراً بالبعث والحضارة على ركام الحكومة العربية التي رأت النور في دمشق 1918-1920 وجاهد في سبيلها يوسف العظمة وسوريون كثر ممن قضوا خارج الصورة.

لم يستكن السوري للانتداب الفرنسي الذي ساد خلال ربع قرن بالحديد والنار والطائفية. لكنه بقي مهزوماً في الصورة ولم يأخذ العالم تالياً انتفاضاته المتكررة على محمل الجد. وعندما وجد أخيراً من يساعده على نيل استقلاله غداة الحرب العالمية الثانية، لوح الجنرال ديغول مجدداً بصورة السوري القاصر متسائلاً أمام صحافيي العالم: "من يتخيل أن بلاداً تضم طوائف مختلفة أو متناحرة في ما بينها تستطيع أن تصبح دولاً منظمة في ظل الأزمة العظيمة التي يعيشها العالم؟"

نال السوري استقلاله في نهاية الأمر. ومضى يبني هويته الوطنية الجديدة ليحرر صورته من الهزيمة في إطار جمهورية سورية ديموقراطية تكاد تبدو أفلاطونية بالنسبة لواقع اليوم. لكنه اصطدم بجغرافية الشرق الأوسط التي فصّلتها الأمم المتحضرة على مقاسها حتى تبقى الشعوب العربية في إطار التبعية. وسرعان ما ابتلى بجنرال جديد استولى على الحكم في دمشق واعداً بمزيد من البعث والحضارة في مواجهة العدو الصهيوني.

كرس الجنرال حافظ الأسد صورة السوري المهزوم حيث أسس نظامه على أساس هزيمة حزيران 1967 التي أبلى فيها بلاء عظيماً بصفته المسؤول الأول عن سقوط الجولان. وقد دشن حكمه معلناً إعجابه بالجنرال ديغول وواعداً بممارسة الوصاية اللازمة على السوري مقابل اعتماده رسمياً لهذه المهمة العسيرة، واختتمه غداة انهيار الاتحاد السوفياتي حيث ذهب إلى باريس عام 1998 ليساوم فرنسا على اعتماد ابنه جنرالاً من بعده. كانت هذه واحدة من آخر رحلات الجنرال البعثي العجوز، وقد أهداه الرئيس الفرنسي يومها قطعة فخار أثرية من حوض الفرات كان من المفترض أن تعود ملكيتها للسوري بحكم القانون الدولي. لكن السوري كان لم يزل قاصراً، ولا يحق للقاصر أن يتمتع بحقه في التملك أو السيادة، ليس قبل أن يفرغ الجنرال من بعثه.

اليوم يثور السوري مجدداً ضد جنرال أنيق ما فتئ يحرق دنياه وآخرته باسم البعث والحضارة. وتشير المعطيات الديموغرافية والسوسيولوجية إلى أن ثورة السوري وجيرانه العرب تحاكي الثورات التي شهدتها أوروبا بالأمس، وتبشر تالياً بتقارب تاريخي بين الحضارات. لكن الصورة السائدة لم تتغير بعد. فهي تقول إن الجنرال الذي اعتمده العالم المتحضر لا يواجه ثورة، بل "التعصب الديني" عينه. كما تقول إن الإنسانية والإغريق باتا في خطر بفعل السوري ذي اللحية الكثيفة والعينين الجاحظتين الذي يغزو شاشات العالم.

لا يشبه السوري صورته ولم يشبهها يوماً. ربما هذا هو حال الفلسطيني الذي تبدو صورته رهينة جنرال آخر "يُنقّب عن دولة نائمة"، أو الهندي الأحمر الذي تزين صورته متاحف السيد الأبيض. فالصورة تكون كما يولى عليها وكما يشتهي المشاهد المحكوم بالصورة. لذا وجب التنويه.

"أبو نضارة" (مجموعة سينمائيين سوريين)
الحياة، مايو 2013

DOCUMENT 2

"صورة السوري ما بتنذل" : الجثث ليست للعرض

رجل يجثو أرضاً والدماء والأشلاء تحيط به، ينتظر أحداً يسعفه في درعا. أمّ تبكي أطفالها بحرقة تحت الأنقاض أثناء تقبيلها يَدي المسعف لإنقاذهم في ريف حلب. طفلة لا تتجاوز السبعة أعوام تلفظ أنفاسها الأخيرة أمام العدسات... وغيرها من مشاهد التعذيب والقتل المُسرّبة من أجهزة الأمن النظاميّة، امتداداً لمقاطع الإعدامات الميدانية والرؤوس المقطوعة على أيدي "الدولة الإسلامية" (داعش) والترهيب بها. مجموعة مقاطع وصور مذيلة بعبارة "+ 18"، تنتهك يوميّاً حرمة الجسد السوري وكرامته.

"كيف يموت السوري، والعالم يتفرج عليه دون حراك"، تلك كانت رسالة الصورة في البداية. واليوم يبقى المصور مشغولاً باقتناص اللحظة التي تبدو فيها الضحية أكثر ذلاً وضعفاً، لتكون صورة تاريخيّة، تُجسّد المعاناة السورية... فتتنافس وسائل الإعلام على شرائها وعرضها، لاستغلال معاناة المواطن السوري، كل بحسب توجهاته وأجندته وتبعاً لمواقفه.

وفي خطوة أولى، بعد 4 سنوات، قام تجمع "أبو نضارة" للأفلام الوثائقيّة السورية، بمبادرة "صورة السوري ما بتنذل" للوقوف عند تلك القضية، إذ نشروا بياناً عبر صفحتهم على موقع "فيسبوك"، مؤكدين فيه التزامهم بحق الإنسان السوري في صورة كريمة، ورفضهم التام عرض الصور التي تظهر أجساداً معذبة بعينها دون موافقة المعنيين أو ذويهم. مع رفضهم التام الحجة التي تقول "إن إدانة المجرم تقتضي عرض أجساد الضحايا على شاشات العالم دون احترام حقّهم في الصورة". ومع غياب المؤسسات القادرة على حماية السوريين، طالبت الحملة وسائل الإعلام المختلفة أن تلتزم بالقواعد المعمول بها عالمياً في تعاملها مع القضية السورية، كما حمّلت مؤسسات الرقابة الإعلامية في أوروبا مسؤوليّة الوقوف عند كل مخالف، ومحاكمته وفقاً للأصول.

منذ انطلاق الثورة السورية عام 2011، ظهرت مئات الجهات الإعلامية المختلفة من وكالات أخبار، إذاعات وجرائد وتجمّعات، ووضع كل منها ضوابط ومعايير تعهّد الأعضاء الالتزام بها. ومنها "رابطة الصحافيين السوريين"، إذ وضعت ميثاق الشرف الصحافي لها عام 2012، وتمّت الإشارة فيه إلى ضرورة صدق الخبر، وسلامة التحليل، وتقديم خدمة إخباريّة بكلّ ما تتطلّبه المهنية من عمل جادّ وصادق، وغيرها من معايير الأداء المهني للصحافيين.

لكنّ الميثاق لم يُشر إلى مسألة نشر الصور في بنوده. أمين سر الرابطة، محمد فتوح، تحدّث لـ"العربي الجديد" عن الموضوع، وقال: "صحيح أن ميثاق الشرف الخاص بالرابطة الذي مرّ عليه نحو عامين، لم يُشر إلى المسألة، إلا أنّ هذه القضية تخضع لمعايير المؤسسات الإعلاميّة وطبيعة الوسيلة الإعلاميّة والجمهور المستهدف. فمن المفترض أنّ نشر مثل هذه التسجيلات يخضع أيضاً لمبدأ حقّ الجمهور في الحصول على المعلومة، ولكن حتى في هذه الحالة يجب مراعاة معيار القيمة الخبرية والتوثيقية، واحترام خصوصيّة الأشخاص الذين يتعرضون للانتهاك، وخصوصاً عندما يتعلق الأمر بالانتهاكات التي تندرج في إطار الانتهاكات الجنسيّة بسبب حساسيّتها في المجتمع". ويرى فتوح أنّ "نشر صور وتسجيلات التعذيب وغيرها من سوء المعاملة، خارج مناطق الصراع، ساعد في محاسبة المسؤولين عن الانتهاكات". ويقول: "يُشكّل النشر عامل ضغط على السلطات والجهات القضائيّة وبالتالي عدم تجاهل هذه القضايا والإسراع في محاسبة مرتكبيها. لكن رغم ذلك، ينبغي توخي الحذر في التعامل معها، تجنباً للوقوع في فخّ الفبركات التي أصبحت ممكنة ومنتشرة". ويعتبر أنّ "هناك خطورة من انتشار المشاهد العنيفة، ليس على مستوى إثارة مشاعر المشاهدين فحسب، بل هناك خشية حقيقيّة من احتمال لجوء البعض الى تقليدها أو استنساخها، وخصوصاً مشاهد الذبح بعد أن أصبحت مشاهد معتادة".

Tournez la page S.V.P.

من جهته، يرى رئيس تحرير جريدة "عنب بلدي"، جواد شربجي، أنّ "مبادئ العمل الأخلاقي مبادئ إنسانيّة عامة، وتلقى القبول عند جميع شعوب الأرض، لكن هناك خصوصيّات لكل حالة، والحالة السوريّة خلّفت آثاراً نفسيةً معيّنةً، خلقت صعوبةً لدى بعض العاملين في الوسائل المحليّة من تقبّل المبادئ المفرطة في المثالية". ويوضح شربجي أنّ "نقاشات عديدة حدثت بيننا كصحافيين حول موضوع الصورة، فهل يصلح نشرها مع الحالة السورية أم لا؟ واليوم نرى الصور تستثمر من قبل الجميع، من جهة المعارضة لإظهار إرهاب النظام وجرائمه، ومن جهة الأخير للدلالة على وحشية الكتائب المتشدّدة، ويبقى الشخص في الصورة هو مجرد أداة يستغلها كل طرف حسب توجهاته". ويرى شربجي ضرورة تصوير هذه المقاطع ورفعها إلى المنظمات الحقوقيّة والإنسانيّة الدوليّة المعنيّة بمتابعة جرائم الحرب، لتوثيقها والمتابعة وكشف الحقائق، وليس لعرضها في وسائل الإعلام.

أمام وجهات النظر المختلفة في ما يتعلق بموضوع الصورة، وغياب رؤية واحدة للعاملين في وسائل الإعلام السوريّة البديلة، الأمر الذي أدى الى حالة من الفوضى في الساحة الإعلاميّة، قرّرت مجموعة من وسائل الإعلام البديل العمل على ميثاق شرف إعلامي ينضوي تحته مختلف وسائل الإعلام السورية، فيعمل على مراقبة أدائهم المهني. ووصل عدد المؤسسات المشاركة في كتابة الميثاق إلى 32، منها جريدة "عنب بلدي"، "صدى الشام"، "سوريتنا"، "أكسجين"، "تمدن"، وعدد من الوكالات الإخباريّة والإذاعات الأخرى. ويقول شربجي، أحد المشاركين في الميثاق، إنّ "المؤسسات الإعلاميّة تعمل ضمن مبادئ عامة، فيما تغيب آليات الضبط الملائمة للحالة السورية. لذلك نرى الصور والعناوين والمواد غير المهنية التي تحمل رسائل طائفيّة، مع الخلط بين الرأي والخبر في المحتوى الصحافي، فالعمل على الميثاق جاء ضرورة لإيجاد ناظم لعمل تلك المؤسسات، للاعتماد عليه في الخطاب الإعلامي بشكل عام، كما يفترض أن يكون ضابطاً ثابتاً، نحتكم له. الميثاق سيكون السند المهني للعمل الإعلامي في سوريا".

يتم التحضير للميثاق منذ قرابة شهرين، وخلال ثلاثة اجتماعات تمّ التوصل الى مرحلة المسودة ما قبل النهائية، لكنه لم يطرح بعد، كما لم يتم الإعلان عنه للاستكتاب العام، إذ لم يجهز بصيغته القانونية بعد. ويشير الميثاق في أحد بنوده إلى شروط وضوابط محددة للصور عن كيفية استخدامها ونشرها، والترويج لها، فيجب ألا تشكل ضرراً غير موضوعي على أصحابها، أو أن تنتهك حرمة وخصوصية الضحايا من مختلف أطراف الصراع، وألا تحتوي مناظر تؤذي مشاعر المشاهد بمحتواها وتدمر قيمه.

لا ينتهج الميثاق مبدأ العقاب، إلا أنّه يتضمّن قوة أخلاقيّة يلزم بها العاملين في وسائل الإعلام السوري. ويقول شربجي: "تتمثل العقوبة بفقدان الوسيلة لمصداقيتها أمام الجمهور والمؤسسات الأخرى، مع تكرار المخالفات وعدم الالتزام ببنود الميثاق والأخلاقيات المتعارف عليها دولياً، في احترام الخصوصية باستخدام الصور، وعدم تزكية العنف أو التجييش الطائفي، العقوبة ضغط أخلاقي لا أكثر".

سما الرحبي
العربي الجديد، 24 سبتمبر 2014